﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ١٠٠﴾ [يونس: 100]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بيـانُ تبعيَّة إيمان النُّفوس لمشيئته تعالى، بعد بيان دوران كلِّ شيء عليها

تأتي هذه الآية؛ تأكيدًا للمعنى الوارد في الآية السّابقة؛ فقد خلقَ الإنسان، ويَسَّر له أسبابَ الهداية، ومن سنن الله تعالى، أنَّه يسَّر الإيمان والهداية، لمن أخذ بالأسباب، وأعملَ عقلَه وفطرته، وتابع ذلك بالتَّأمل، والنَّظر، والتَّفكر[1]، ففي هذه الآية، رَدٌّ لكلِّ أمرٍ إلى الله تعالى، وإلى أنَّ الحول والقوَّة لله في إيمان من يُؤمن[2]، وتعليلٌ للإنكار الذي تضمَّنه الاستفهامُ في الآية السَّابقة: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾، ذلك أنَّه إذا كان الإيمان رَهْنًا بمشيئة الله؛ فليس يجدي بحال أبدًا هذا الحرص الشَّديد الَّذي يبدو من النَّبيِّ ﷺ، وهو يدعو أهله وقومه إلى الإيمان بالله، وإنَّ المطلوب منه هو أن يرفع مصباح الهدى للنَّاس، وأن يكشف لهم به الطَّريق إلى الله، فمن كان ممَّن أراد الله لهم الهداية اهتدى، ومن كان ممَّن أضلَّهم الله؛ فلا هادي له[3]. وخلاصة ذلك كلِّه: أنَّ في هذه الآية بيانًا لتبعيَّة إيمان النُّفوس لمشيئته تعالى وجودًا وعدمًا، بعد بيان الدَّوران الكُلّي عليها كذلك[4].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: الإذنُ لغةً الإطلاقُ في الفعل، ويكون الأمر إذنًا، وكذلك الإرادة، وقال الحرّاليُّ: هو رفْعُ المنع وإيتاء المُكنة كونًا وخلقًا،

(1) شحاتة، تفسير القرآن الكريم: 11/2124.
(2) ابن عطيَّة الأندلسي، المحرَّر الوجيز: 3/145.
(3) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 6/1089.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 6/182.

وقال ابن الكمال: هو فكُّ الحجر وإطلاق التَّصرُّف لمن كان ممنوعًا شرعًا[1]. فالإذْنُ: مَصْدَرُ أذِنَ، يَأْذَنُ، وأصْلُه: رَفْعُ المَنْعِ، وإطلاقُ الفِعْلِ، والإباحَةُ، يقال: أذِنْتُ لَهُ في شَيْءٍ، أي: أطْلَقْتُ له فِعْلَهُ[2]، ويُطْلَقُ الإذْنُ على الإعْلام، ومنه الأذان: وهو الإعْلامُ بدخولِ الوقتِ، وأذِنْتُ بالشَّيء: عَلِمْتُ به، والاستئذانُ: طَلَبُ الإذْنِ[3]، والإذْنُ في الآية إذْنُ تَكْوينٍ وتَقْديرٍ[4].

2) ﴿ٱلرِّجْسَ﴾: الرِّجس: القَذَرُ، والرِّجس: الحرام، وقال أبو زيد: رجستِ السَّماء: رعدَتْ[5]، والرِّجس: القذر، وقد يُعبَّر به عن الحرام، والفعل القبيح، والعذاب، واللَّعنة، والكفر، قال الفرّاء: إذا بدؤوا بالنَّجس، ولم يذكروا معه الرِّجس؛ فتحوا النّون والجيم، وإذا بدؤوا بالرِّجس ثمَّ أتبعوه النَّجِس كسروا الجيم[6]، وأصل (رَجَسَ): يدلُّ على اختلاط. والرِّجس: القذر، وقيل: الشَّيء القَذِر. ورجس الشَّيء يرجس رجاسة، وإنَّه لرجسٌ مرجُوس، وكلُّ قَذَر رِجْسٌ[7]، الرِّجْسُ: المَأْثَمُ، والكُفر، والرَّجْسُ، بالفَتْحِ: شِدَّةُ الصَّوْتِ. والمقصود بالرِّجس في الآية: العَذَابُ. قال الفرّاءُ: إنَّه العِقَابُ والغَضَبُ[8] والرِّجس في الآية مقصود منه: الكُفْر[9].

3) ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾: أصل (عقل): مَا دلَّ على حُبْسَةٍ في الشَّيءِ أو ما يُقارِبُ الحُبْسَةَ. مِنْ ذلك العَقْلِ، وهو الحابِسُ عن ذَميمِ القولِ والفِعْلِ[10]، وهو ضِدُّ الحُمق والجَهل[11]، والجَمع: عُقولٌ، ويأتي العَقْلُ بمعنى: الفَهْم والتَّمييز، يقال: عَقَل الشَّيء يعقله عقلًا، أي: فَهِمَهُ، والعَقْلُ أيضًا: الشَّدُّ والرَّبطُ، تقولُ: عَقَلَ الدّابة، أي: شدَّها ورَبطَها[12]، والمُرَاد بقوله: ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾: نَفيُ العَقْلِ المُستقيم.

(1) الزّبيديّ، تاج العروس: 34/161.
(2) المناويّ، التّوقيف على أمّهات التّعاريف، ص: 44، والزّبيديّ، تاج العروس: (أذن).
(3) الفيّوميّ، المصباح المنير: (أذن).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/294.
(5) إبراهيم بن إسحاق الحربيّ، غريب الحديث: 1/14.
(6) ابن الأثير، النّهاية: 2/200.
(7) الأزهريّ، تّهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (رجس).
(8) الفرّاء، معاني القرآن: 1/480، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (رجس).
(9) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/294.
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، المحكم: (عقل).
(11) الخليل، العين: (عقل).
(12) الرّاغب، المفردات: (عقل).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تعلُّق مشيئةِ اللهِ وحكمته بأفعاله وأفعال عِباده، ووقوعها وِفقهما

يُخاطِبُ الله تعالى النَّبيَّ ﷺ قائلًا: ما ينبغي لنفسٍ أن تؤمِنَ وتهتديَ إلّا بقضاءِ الله وقَدَرِه ومَشيئتِه، فلا تُجهِدَنَّ نفسَك - يا محمد ﷺ - في طلَبِ هُداها، وبلِّغْها وعيدَ الله، ثمَّ خَلِّها؛ فإنَّ هُداها بيَدِ خالِقِها، ولا تكفي دعوتُك في حصولِ الإيمانِ حتّى يأذَنَ الله لِمَن دَعَوتَه أن يؤمنَ، ويجعلُ الله غضبه وعذابه على الَّذين لا يعقلون آياتِه، وحُجَجَه، ومواعِظَه، وأوامره ونواهيه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة (الواو) على العطف:

التَّقريرُ والتَّعليل ببيان تبعيَّة الإيمانِ لمشيئة الرَّحمن

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾، معطوفٌ على جملة: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾، لتقرير مضمونها؛ لأنَّ مضمونها إنكار أن يقدر النَّبيُّ ﷺ على إلجاء النّاس إلى الإيمان؛ لأنَّ الله هو الَّذي يقدر على ذلك، ويجوز أن تكون الواو للحال من ضمير المُخاطب، أي: كيف يمكنك أن تُكرِه النّاس على الإيمان، والحال أنَّه لا تستطيع نفسٌ أن تؤمن إلّا بإذن الله لها بالإيمان[2]؟ فهو تعليل للإنكار الَّذي تضمَّنه الاستفهام في الآية السّابقة[3]. وفيها بيان لتبعيَّة إيمان النُّفوس الَّتي علم الله تعالى إيمانها لمشيئته تعالى - وجودًا وعَدَمًا - بعد بيان الدَّوران الكُلّي عليها كذلك[4].

دلالةُ القصر بالنَّفي والاستثناء:

ورود الصِّفة حال كونها ملابسةً بإذنه تعالى وتوفيقه

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾، أي: ما ينبغي أن تؤمن نفسٌ إلّا بقضائه وقدره ومشيئته وإرادته[5]، أي: حال

(1) ابن جرير، جامع البيان: 12/299، 300، والقرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 8/386، وابن القيِّم، شفاء العليل، ص: 60، والسَّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 374.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/294.
(3) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآني للقرآن: 6/1089.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 6/182، والصَّاوي، حاشيّة الصَّاوي على الجلالين: 2/120.
(5) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 8/385.

كونها ملابسة بإذنه تعالى وتسهيله وتوفيقه، فلا تجهد نفسك في هداها، فإنَّه إلى الله[1]. وخُصِّصت النَّفس بالصِّفة المذكورة من باب قصر الموصوفِ على الصِّفة؛ لأنَّ الاستثناء مفرَّغٌ من أعمِّ الأحوال، فلا بدَّ من كون الإيمان ممّا يؤول إليه حالها، فإنَّ النُّفوس الَّتي علم الله تعالى أنَّها لا تُؤمن، ليس لها حالٌ تؤمن فيها، حتّى تُستثنى تلك الحال من غيرها[2]، فالمنفيُّ هو استطاعة الخروج عن هذا النِّظام العامِّ، لا الاستطاعة الخاصَّة الموافقة له[3].

دلالةُ الكون المنفيّ:

تقييدُ إيمان النُّفوس بالسُّنن والأقدار

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ﴾ أي: وما ينبغي، ولا يتأتّى[4] لنفس ولا من شأنها، فيما أشير اليه من استقلالها في أفعالها، ولا ممّا أعطاها الله من الاختيار فيما هداها من النَّجدين، وما ألهمها من فجورها وتقواها الفطريَّيْن، أن تؤمن إلّا بإرادة الله ومُقتضى سنَّته، في استطاعة التَّرجيح بين المتعارضين، فهي مختارة في دائرة الأسباب والمسبَّبات، ولكنَّها غير مستقلَّة في اختيارها أتمَّ الاستقلال، بل مقيَّدة بنظام السُّنن والأقدار[5]، ففي هذا النَّفي تأكيدٌ لما اشتملت عليه الآية السّابقة من قدرة نافذة لله تعالى[6] في قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾.

العلَّة من التَّعبير بـ المضارع في قوله: ﴿تُؤْمِنَ﴾:

نفي تجدُّد الإيمانِ إلّا بمشيئة الله تسليةٌ للدُّعاة وتأديبٌ لهم

قوله تعالى: ﴿أَن تُؤْمِنَ﴾ أي: يقع منها إيمان في وقتٍ ما[7]، تجدُّدًا لهذا الإيمان أو استمرارًا عليه، وفي هذا تسليةٌ لأهل التَّذكير حين

(1) البروسويّ، روح البيان: 4/84.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 6/182.
(3) رشيد رضا، تفسير المنار: 11/484.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/210.
(5) رشيد رضا، تفسير المنار: 11/484.
(6) طنطاوي، التفسير الوسيط: 7/136.
(7) البقاعي، نظم الدُّرر: 9/210.

يرون النَّاس لم ينفع فيهم تذكيرهم، وفيها تأديبٌ لمن حرص على هداية النَّاس كلِّهم، أو يتمنّى أن يكونوا كلُّهم مؤمنين، فإنَّ هذا خلاف حكمته تعالى[1].

بلاغةُ المجاز في لفظ الإذن:

لا يقع شيءٌ في الكون إلا بمشيئة الله تعالى

في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ مجازٌ مرسلٌ بإطلاق الإذن على المشيئة، أي: إلّا بمشيئة الله تعالى؛ لأنَّ الغالب أنَّ الإذن في الشيء لا يقع إلّا بمشيئة الآذِن، واختياره الملازمة مصحِّحة للمجاز[2].

إيثار لفظ (الإذن) في قوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾:

الإذنُ إذنُ تكوينٍ وتقدير، لتَهييءِ النَّفس لما خُلقت له

الأصل في الإذن بالشَّيء الإعلامُ بإجازته والرُّخصة فيه ورفْعُ الحَجْرِ عنه[3]، ومعنى (الإذن) في هذه الآية الإرادة والتَّقدير لذلك، فهو العلم والتَّمكين[4]؛ وهو إذن تكوين وتقدير، لتَهييءِ النَّفس لما خُلقت له، فهو خَلْقُ النَّفسِ مستعدَّةً لقبول الحقِّ مميِّزةً بين الحقِّ والباطل، والصَّلاح والفساد، متوصِّلة بالنَّظر الصَّحيح إلى معرفة ما ينبغي أن يتَّبع وما لا ينبغي، مُتمكِّنة بصحَّة الإرادة من زجر داعية الهوى والأعراض العاجلة، ومن اتِّباع داعية الحقِّ والعاقبة الدّائمة، حتّى إذا وجِّه إليها الإرشاد؛ حصل فيها الهدى[5].

السِّرُّ في إيثار اسم الجلالة في: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾،:

مُراعاةُ المقام وتربيَةُ المهابة من مقاصد السّياق

ولكون المقام مقامَ توحيدٍ وإيمان عبَّر النَّظم الكريم بالألوهيَّة المقتضية للعبادة والتَّوحيد تربيةً للمهابة في النُّفوس وإشعارًا بعلَّة الحكم، والمعنى: "وما كانَ لِنَفْسٍ أنْ تُؤْمِنَ إلَّا بإذن الله

(1) ابن عجيبة، البحر المديد: 3/187.
(2) عفيف، الشامل في بلاغة القرآن: 2/31.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 6/182.
(4) ابن عطيّة الأندلسي، المحرّر الوجيز: 3/145.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/294.

بمشيئته وألطافه وتوفيقه، فلا تجهدْ نفسك في هداها، فإنَّه إلى الله تعالى"[1].

دلالةُ العطف:

الـدَّلالـة على المذكـور، دلالة الـضِّـدِّ على الضِّدِّ، والنَّقيض على النَّقيض

قوله: ﴿وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ﴾ معطوفٌ على محذوف، تقديره: فيريد الله الإيمان للبعض، ويجعل الرِّجس على الذين لاٰ يَعۡقِلُونَ[2]، وهذا العطفُ على المحذوف يدلُّ عليه المذكور دلالة الضِّدِّ على الضِّدِّ، أو النَّقيض على النَّقيض، فالقرينة مُقابلته بالإيمان كالمقابلة الَّتي في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾.. إلى قوله: ﴿فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ﴾ [التّوبة: 124، 125][3]. فإذ كان كلُّ شيء بإذنه وتيسيره ومشيئته التي تجري بقدره وسنَّته، فهو يجعل الإذنَ وتيسير الإيمانِ للَّذين يعقلون آياته في كتابه وفي خلقه، ويوازنون بين الأمور، فيختارون خير الأعمالِ على شَرِّها، ويُرَجِّحون نفعها على ضرِّها بإذنه وتيسيره، ويجعل الخذلان والخزي المرجِّح للكفر والفجور على الَّذين لا يعقلون ولا يتدبَّرون، فهم لِأَفَنِ رأيهم، واتِّباع أهوائهم، يختارون الكفر على الإيمان والفجور على التَّقوى[4].

إيثار لفظ الرِّجس ودلالته:

الـكـفـرُ خُـبـثٌ نفسانيٌّ، يُوجِب لصاحبه العذاب

الرِّجس: حقيقته الخبث والفساد، ويُطلقُ على الشَّيء القبيح المُستقذَر، وأُطلق هُنا على الكفر؛ لأنَّه خُبثٌ نفسانيٌّ، فالمعنى: ويجعل الكفر وما يترتَّب عليه من عذاب على القوم الَّذين لم يستعملوا عقولهم، فيما يهدى إلى الحقِّ والخير، بل استعملوها فيما يوصل إلى الأباطيلِ والشُّرور[5]، فعبَّر عن الكفر بالرِّجس؛ لكونه علمًا

(1) ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: 2/500.
(2) الهرري، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 12/362، وطنطاوي، التَّفسير الوسيط: 7/136.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/294.
(4) رشيد رضا، تفسير المنار: 11/484.
(5) طنطاوي، التَّفسير الوسيط: 7/136.

في الفساد والاستقذار، وقيل: المراد به العذاب، وعبَّر عنه بذلك لاشتراكهما في الاستكراه والتَّنفير، وإرادة الكفر منه باعتبار أنَّه نُقِلَ أوَّلًا عن المُستقذر إلى العذاب للاشتراك، فيما ذُكِرَ، ثُم أطلق على الكفر؛ لأنَّه سببه، فيكون مجازًا في المرتبة الثّانية، واختار المحقِّقون من أهل التَّفسير المعنى الأوَّل، تحاشيًا ممّا في إطلاق المُستقذَر على عذاب الله تعالى[1].

دلالةُ الفعل المضارع ﴿وَيَجْعَلُ﴾:

الرِّجس يوصف بـه مـن غـمَـسَ نفسَهُ في حمْأة الكفر

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ﴾، أي: ويُوقِعُ الكُفْرَ على الَّذينَ لا يَعْقِلُونَ[2]، والمضارع المذكور هنا للاستمرار[3]، فالكافر مرجوسٌ منكوس مادام مستمرًّا في كفره، فالرِّجس ملازم له لاينفكُّ عنه، وكونه تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾، أي: الخذلان والخزي المرجِّح للكفر والفجور[4]، ووجوده مستمرًّا نكسةٌ على صاحبه وسوء مصير.

دلالةُ اختلاف القراءة القرآنيَّة في لفظ ﴿وَيَجْعَلُ﴾:

ضميرُ العظمة تعظيم لشأن الجعل، وبعثٌ للمهابة في النُّفوس

قرأ الجمهور ويجعل الرِّجس بياء الغيبة، والضَّمير عائد إلى اسم الجلالة الَّذي قبله، وقرأه أبو بكر عن عاصم: ﴿وَنَجْعَلُ﴾ بنون العظمة[5]، وفيه بيانٌ لعظيم هذا الجعل، وبعثٌ للمهابة في نفوس السّامعين، وذلك أدعى إلى تلقّي الوعيد بعناية وخشية.

دلالةُ حرف الجرِّ ﴿عَلَى﴾:

إفادةُ الاستعلاء المجازيِّ المستعمل في التَّمكُّن

﴿عَلَى﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾، للاستعلاء المجازيِّ المستعمل في التَّمَكُّن[6]، وهُوَ تمكُّن الكفر منهم، حتَّى كأنَّه يَقَعُ فوقهم، والرِّجس هو الكفر، وهو رجس مستقذرٌ،

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/177، والآلوسي، روح المعاني: 6/182.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/295.
(3) أَطْفَيِّش، تيسير التَّفسير: 6/318.
(4) رشيد رضا، تفسير المنار: 11/395.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/295.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/295.

ولكنَّهم لم ينظروا منه ذلك الوجه المستقبح، فكان جعْلُه عليهم وبالًا وضلالًا، وعليه فلا غرابة أن يستعمل هنا حرف الاستعلاء المجازيِّ ﴿عَلَى﴾.

بلاغة النَّفي بـ (لا):

الكفرُ يحول دون هداية العقل إلى إدراك الحقائق الإيمانيَّة

المراد بالنَّفي في قوله تعالى: ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ نفي العقل المستقيم، أي: الَّذين لا تهتدي عقولهم إلى إدراك الحَقِّ، ولا يستعملون عقولهم بالنَّظر في الأدلَّة[1]. وفي ذلك إشارة " إلى أنَّ الكفر هو وليد الجهل والحمق، وعدم استعمال العقل وتوجيهه إلى تعقُّل الآيات المبثوثة في هذا الكون الَّذي تتجلّى في آفاقه آياتُ الخالق المبدع، وقدرة الحكيم العليم، الخالق المصوِّر"[2].

بديعُ المقابلة بين حال أهل الإيمان، وحال من لا يعقل:

تصويرُ حُسْنِ أحوال المؤمنين، وتبشيع أحوال الكافرين

يومئ المعنى الأوَّل من الإذن في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قوله في مقابله: ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فقابل هذه الحالة بحالة الَّذين لا يعقلون، فَعُلِمَ أنَّ حالة الإيمان حالةٌ من يعقلون[3].كما أنَّ وضع الرِّجس في مُقابل الإيمان، إشارة إلى أنَّ الإيمان طُهْرٌ وتزكيَةٌ وتطييب للمؤمن، على خلاف الكفر، فإنَّه قذر ونجس ورجس يلبس صاحبه ويشتمل عليه كما يلبس الجِلْدُ الجسدَ ويحتويه[4]. فَشكَّلت هذه المُقابلة البديعة بين كلِّ هذه المعاني صورةً إعجازيَّة بديعة، لمن أعمل الفكر في تدبُّرها، وحرَّر القول في التَّذكير بها وتَذَكُّرِها.

دلالةُ وَضْعِ الّذين ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ بدل الّذين (لَا يُؤْمِنُونَ):

الـكُـفـر وليـد الـجـهـل والحُمْقِ، وعدمِ استـعـمـال العقلِ

في وضع الَّذين ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ بدل الَّذين (لَا يُؤْمِنُونَ) - بحسب

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتنوير: 11/295.
(2) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآني للقرآن: 6/1090.
(3) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآني للقرآن: 11/295.
(4) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآني للقرآن: 6/1089.

ما يَقْضي به السّياق - إشارة إلى أنَّ الكُفر هو وليدُ الجهل والحمق، وعدمِ استعمال العقلِ، وتوجيهه إلى تعقُّل الآيات المبثوثةِ في هذا الكون، الَّذي تتجلّى في آفاقه آيات الخالق المبدع، وقدرة الحكيم العليم الخالق[1].

عِلَّةُ حذف المفعول بِهِ للفعل ﴿يَعْقِلُونَ﴾:

التَّنويهُ بإعمال الفكر في تحصيل المعنى، وتنويع دلالاته

حُذِفَ مفعول ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾، والتَّقدير: لا يعقلون حُجَجَ اللّه تعالى وأدلَّته، فهو العادل الحكيم في هداية من هدى، وإضلال من أضلَّ[2]، أو لا يعقلون أحكامه لما على قلوبهم من الطَّبع[3]، فهم لا يتدبَّرون في آيات اللّه تعالى، لكي ينتفعوا بها، وهم يدَّعون أنَّهم أعقل النّاس، ويتساقطون في مساوئ الأخلاق، وهم يدَّعون أنَّهم أبعد النَّاس عنها[4].

تنزيلُ الفعلِ المتعدّي منزلة اللازم:

انتفاءُ عقلهم مناط الذَّمِّ ولذلك كان مرادًا

في قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ تنزيلٌ للفعل المتعدّي منزلة اللازم، وذلك لصرف العناية والاهتمام إلى الفعل، وأنَّه هو المراد في ذاته لا وصوله إلى المفعول[5]. لكونه مظنَّة الذمِّ والمؤاخذة.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الرِّجْزُ والرِّجْسُ:

الرِّجْزُ يختصُّ بالعذاب، والرِّجْسُ بالتَّعبير عن القَذَرِ حسِّيًّا أو معنويًّا

(الرِّجْزُ)، و(الرِّجْسُ) متَقاربانِ لفْظًا ومَعْنًى، فإنَّ الرِّجْزَ يدلُّ على اضطرابٍ، والرِّجْسَ يدلُّ على اختلاطٍ، إلَّا أنَّ الرِّجْزَ في القرآن الكريم اختصَّ بالعذاب، بخلافِ الرِّجْسِ فإنَّه يغلبُ في التَّعبير عن القَذَرِ حسِّيًّا كان أو معنويًّا؛ لِمَا في القذَرِ مِن اللَّطْخِ والخَلْطِ.

(1) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآني للقرآن: 6/1089.
(2) الإيجي، جامع البيان: 2/157.
(3) الشهاب الخفاجي، حاشية الشِّهاب على البيضاوي: 5/106.
(4) الخطيب الشِّربيني، تفسير الشِّربيني: 2/44.
(5) عفيف، الشامل في بلاغة القرآن: 2/31.

والرِّجْسُ وإن استُعمِلَ في القرآن الكريم مرادًا به العذابُ، كما في قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ [الأعراف: 71]، إلّا أنَّهُ قد جُعِلَ ما أفضى إلى العذابِ رجسًا؛ استقذَارًا لَهُ، فَلَمْ يخْرُجْ عَنْ أصلِ دِلالَتِهِ، أمّا الرِّجْزُ؛ فلا يَخْرُجُ عَن معْنَى العذابِ، وذلك لِما يُتَصوَّرُ فيه من اضطرابٍ وحركةٍ وجلبةٍ؛ إذِ العذابُ النّازِلُ لا بُدَّ فيه للمنزولِ بهم مِن أن يَضْطَرِبُوا لأجْلِهِ. وثَمَّ ملمحٌ دلاليٌّ بين الرِّجْزِ والرِّجْسِ، يُومِئُ إليهِ الحرفَانِ اللَّذانِ وقعَ فيهما الاختلافُ بين الكلمتَيْن وهما الزّايُ والسِّينُ؛ فإن الرِّجْزَ اختصَّ بالعذابِ؛ لِمَا في الزَّاي مِنَ الجهْرِ، والجَهْرُ من صفاتِ القُوَّةِ في الحروفِ، فهو بهذا الاعتبار أقوى مِنَ السِّين الَّتي من صفاتِها الهمسُ – وهو أي: الهمسُ – مِن صفاتِ الضَّعْفِ، فاختصَّ الرِّجْسُ بما ليس في معناه مِنَ الشِّدَّة الَّتي في الرِّجْزِ[1]. ولأنَّ الكفر: قذرٌ، ونجسٌ، وانحطاط في العمل إلى درك الجهل والضلالة والكبر والجحود ناسبَه العقاب الأشدُّ المعبَّر عنه بلفظ الرِّجز.

(1) الدّوري، دقائق الفروق اللّغويّة في البيان القرآنيّ: 336 - 358.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 20 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-17-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 20 : المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-17-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»